أوبرا التتويج والخيانة

- وما هى هذه الفضيحة؟

كما تعلم أن مسرحية السيد لبير كورنى تخير البطل بين الواجب والعاطفة، وكيف أن هذا البطل فضل الواجب فداس على قلبه، ورغم أن كتبة هذا العرض الاستعراضى الغنائى المسمى أوبرا عايدة نخبة من العلماء والمثقفين الفرنسيين، فإنهم خالفوا قانونهم حين جعلوا الأمير المصرى يفضل حب أميرة حبشية على واجبه الوطني، فيبوح لها بأسراره العسكرية مقابل حبها له! لهذا فإننى اسميها أوبرا التتويج والخيانة، أنجبتها مرحلة نظرية مصر قطعة من أوربا والخديوى اسماعيل الجد الأكبر لمأساة الديون وخراب مصر، ومن يومها وهذه الأوبرا يكررون عرضها وينفق عليها الملايين من الخزانة المصرية، رغم أنها ليس فيها من جمال وحقيقة غير موسيقى فيردي، فإننى أتساءل لماذا لا تقيم مصر بهذه الأموال الطائلة أوبرات وطنية تفضل الواجب على العاطفة وتعلم الأجيال الولاء لهذا الوطن؟ ولكننى أعود وأسأل نفسى: ليكن أنك حصلت على هذا الكتاب الذى حاولت كثيراً الحصول على صورة منه أو أنك تمكنت بالمشاركة مع شاعر متمكن وموسيقار كبير أن تضع مشروعاً

لهـذه الأوبـرا كـى تقـدم علـى مداخـل معبـد أبـو سمبـل، فمـن يوافقك ومـن يسمح لـك ومـن يمولـك؟ (يـا صديقـى منـذ الخديـوى إسماعيـل نحـن نعيـش خيانـة كـبرى لا أول لهـا ولا آخـر...).

- هل لديك مشاريع محبطة أخرى؟

لـدى الكثـير، إن رأسـى تـكاد تنفجـر بازدحامهـا بحكـم أننـى أعتـبر نفسـى روحيـاً وأدبيـاً ابـن بالتبنـى لمدينـة الأقصـر العريقـة (واسـت) الفرعونيـة الخالـدة، فإننـى كثـيراً مـا كنـت أفكـر وأنـا طفـل فـى الملـك أحمـس وكيـف نجـح فـى مطـاردة الهكسـوس الرعـاة مـن مصـر وطهرهـا منهـم تمامـاً مـع العزيـزة (تـى تـى شـيري) وزوجتـه (إيـاح حتـب) وقائـده العسـكرى (أحمـس) كيـف نجـح هـؤلاء الصعايـدة القادمـين مـن جنـوب الأقصـر بالزحـف حتـى تمكنـوا مـن طـرد العـدو مـن قلعتـه شمـال شـرق الدلتـا (اواريـس) ومـا حولهـا مـن قـرى ومـدن ثـم يمضـى مـن خلفهـم عـبر سـيناء وصحـراء العـرب ويضـع نصبـه التـذكارى فـى مدينـة العـين بالأمـارات حاليـا محفـور عليـه إلى هنـا وصـل الملـك أحمـس فـى مطاردتـه للملـوك الرعـاة. ثـم يعـود ليمـوت علـى فراشـه وعمـره لم يتجـاوز ٤١ عامـا ورث بطولـه شـقيقه وأبـوه (سـقنن راع) الـذى إستشـهد فـى معركـة (قفـت) مطعونـا فـى وجهـه مـن عـدوه وليـس مـن ظهـره وتتحمـل فـى الحـرب الضـروس النسـاء مسـئوليتها كمـا الرجـال مناصفـة أو يزيـد لمـاذا لا تنفـق الدولـة الملايـين مـن اجـل إنشـاء أوبـرا عظيمـة باسـم أحمـس بـدلا مـن الإنفـاق السـفيه علـى أوبـرا التتويـج والخيانـة..

- سؤالى ثانية لماذا لم تؤلف حتى الآن نصوص مسرحية تبقى فى ذاكرة المجتمع المسرحى المصرى رغم خبرتك الواسعة بفنون التاليف المسرحى وتجربتك الطويلة مع متطلبات منصات العروض وأفكارك المضافة إلى النصوص التى أخرجتها ؟

السبب هو اننى احاسب نفسى بتدقيق شديد كما احاسب غيرى حينما أقرا نصا فى لجنان النصوص أو أشاهده فى لجان المتابعة أو أتحدث عنه فى ندوات ما بعد العروض ويبدو أننى أسير فكرة كلاسيكية دوجماطبقية عن مواصفات النص المسرحى لهذا أقدمت على عدد من الأفكار والمشاريع التى كتبت فيها بضع صفحات ثم توقفت أمام حسى النقدى الذى يراجعنى فى كل كلمة أكتبها مما أصابنى بحالة تشبه العجز ولكنى أنوى فى الاشهر القليلة القادمة أن انجز الذى أعتبره أول عمل مسرحى من تاليفى بعد ذلك سوف استكمل مسودات مشروعى الذى يعالج أسباب الضعف التى تصيب أمتنا فتمكن أعدائها منها وقد لجات إلى مصادر عن الحضارة الفرعونية واخترت مرحلة الضعف الواصلة بين الدولة المصرية الليبية وبين الدولة النوبية المصرية أى حوالى الأسر ٢٣ ، ٢٤ ولعنى أتمكن من التعامل حضاريا مع حرف ال (و) الذى يربط مصر مع السودان وقد استوحيت الفكرة من كتابة المفكر السنغالى الكبير المقيم فى فرنسا (شيخ أنتاديوب) حين كتبت عن الجذور الزنجية للحضارة المصرية

لـدى ايضـا مشـروع عرقـى مسـرحى يتعـرض للحيـاة فـى الاسـكندرية البطليمـة فـى علاقتهـا بالثقافـة المصريـة القديمـة والمتـددة إلى ثقافـات حـوض البحـر المتوسـط بـل لعلهـا كانـت هـى المؤسسـة الجزريـة الاولى لهـا أو كمـا شـرح دكتـور (طـه جسـين) فـى كتابـه مسـتقبل الثقافـة فـى مصـر هنـاك كتـاب لتوفيـق الحكيـم اسـتهوانى موضـوع ضمـن موضوعاتـه اسمـه (عدالـة وفـن) فقـررت أن أحولـه إلى نـص مسـرحى قصـير أو متوسـط الطـول

- كنـت قـد أعـددت بعـض النصـوص المسـرحية وقدمـت مـن خـلال مخرجـين كبـار مثـل عبـد الرحمـن الشـافعى والمخـرج الراحـل ممـدوح طنطـاوى فمـا هـى أفـكارك التـى اضفتهـا لتلـك النصـوص بحيـث يعـاد انتاجهـا ؟

بـدات عميلـة الاعـداد المسـرحى بصيغـة تولـدت فـى خيـالى لتحويـل عرائـس الليلـة الكبـيرة تصميـم الفنـان الفريـد مـن نوعـه (ناجـى شـاكر) وأشـعار صـلاح جاهـين وموسـيقى سـيد مـكاوى فـى هـذا الوقـت كان الفنـان حمـدى غيـث قـد تـولى القيـادة فـى الثقافـة الجماهيريـة وكنـا مقبلـين علـى إحتفـالات شـهر رمضـان وكان قـد عقـد اجتماعـا محـددا معنـا كمسـرحين حيـث قـال أنـه لايوافـق ولا يرحـب بـأْن تسـتمر الصيغـة القديمـة لاحتفالاتنـا بالشـهر الكريـم فـى أن نقيـم سـرادقا ونقـدم علـى منصتـه برامـج منوعـات أو فـرق رقـص شـعبى أو فـرق موسـيقية وغـير ذلـك واشـار إلى أنـة لابـد وأن نـدرك إننـا لسـنا متعهديـن بـل علينـا ان نكـون مبدعـين ومنتجـين للفـن والثقافـة ولسـنا مجـرد منظمـى عـروض وحفـلات وأن علينـا

أن نبحث عن الصيغة التى نحتفل بها فى هذا الشهر فى صورة عروض مسرحية كبيرة هنا اقترحت على عبد الرحمن الشافعى موضوع الليلة الكبيرة ولكنه لم يتخذ فيه قرارا ولم يرفع بة مذكرة لرئلسة الجهاز ولم يترك ميزانية أو مشروع إلى أخرة لأنه كان مشغولا للإعداد لسفر فرقة الموسيقى الشعبية إلى أستراليا وبالفعل بدأت فى الاعداد ريثما يعود وحولت الشريط الصوتى للاوبريت الاذاعى – الليلة الكبيرة – والذى يستغرق أقل من عشرين دقيقة حولتة إلى لوحات منفصلة متصلة فى إطار خط درامى بسيط مبنى على قراءاتى عن مسرح المنوعات أو (الريفيو) وتدفقت لدى اللوحات فحملتها بعض من المواقف الكوميدية والازجال الهزلية الساخرة حين إفترضت أن أسرة فلاحية جائت إلى مولد الحسين لكى تبحث عن مقام شيخ من الأولياء كى تتبرك بزيارته فيقابلها إثنان من المتسكعين لكى يستولوا على ما أحضروة معهم من خيرات الريف فى هذه الأثناء يتلفتون فلا يجدون إبنتهم الطفلة التى تاهت فى الزحام فى المقابل يوجد فى المقهى راقصة جميلة يبدو انها من اصل صعيدى كانت قد هربت لسبب ما من أهلها بينما يخترق خشبة المسرح يمينا ويسارا وطولا وعرضا مجموعة من الرجال الصعايدة الأشداء يحملون الشوم باحثين عن أى شئ او شخص ما وفى الحقيقة كانوا يبحثون عن الفتاة الهاربة وهكذا تكون العرض من تقاطعات خفيفة متوازية يتخللها بين حين وأخر لوحات غنائية وإستعراضية, كان اول عرض ريفيو يعود بهذا القالب إلى مسرحنا بعد طول إنقطاع

كما سبق أن أشرت إلى إعدادى لنص منين أجيب ناس بغرض تطبيعة مع المناخ الصعيدى وفرقة سوهاج . ثم حدث أن طلب منى عبد الرحمن الشافعى أن اقرأ نص بلدى يا بلدى تأليف رشاد رشدى وأن أقوم بتحويلة إلى مسرحية معاصرة ولما كنت لا أتوافق كثيرا مع افكار المؤلف وتقنياتة فقد إتبعت أسلوبا يسمى عند الشعراء (المعارضة) ليس فقط بان أبدا بالبيت الاول فى القصيدة الاصلية ثم اقوم برصف أبيات تلية من نفس البحر والتفعيلة والقافية بل تجاوزت كل ذلك كى أعارض أفكار المؤلف وتوجهاتة ونواياة فأعدت كتابة بعض المونولوجات وعكستها وأضفت جملا وحذفت جملا ثم اضفت شخصبة فى قرب نهاية المسرحية هى شخصية (خلوصى) العطار الذى يقوم نيابة عن الشعب المصرى بعمل مواجهة مباشرة مع السيد البدوى الزعيم الدينى

هل اقتصر كل ما فعلتة على هدم نص رشاد رشدى؟

تخلل عملى بعض النجاحات أو الإنجازات الفنية منها الحوار المتبادل بين قمر الدولة وفاطمة بنت برى والمونولوج الذى جرى على لسان متولى حين يعلن عزمة على إقتحام القاهرة لكى يحررها من سطوة المماليك وعلى ما أذكر قال

متولى : ياقاهرة ينهشك الاقزام بالسكاكين البليدة يعربد النخاسون فى حاراتك الطاهرة

وفـى مواجهـة بينـة وبـين عصبـة المماليـك الذيـن كان عليهـم مسـاعدتة فخانـوة حـين قـال قضيـت عمـرا مـع المثقوبـين هكـذا أنتـم يـا مثقوبـى الأنـوف والقلـوب والضمائـر ياصحبـة كل خاسـر عاشـرتكم فاصبحـت خربـا مثلكـم يـا ويلنـا حينمـا نقـف أمـام اللـة حفـاة عـراة هـذا فـراق بينـى وبينكـم .. هـذا فـراق. أمـا لوحـة الجـوع فقـد لقنتهـا كلمـة كلمـة وحركـة حركـة ودخلـة بعـد دخلـة للمثلـين فـى الكواليـس فجائـت صـورة حيـة عميقـة التاثـير كل مـن يتسـبب فـى تجويـع الشـعب .